(٣)

موقفان

الناس(١) يقولون ويسرفون فى القول ، ويؤكدون ويلحون فى التأكيد أن صاحب المعالى وزير الأشغال لا يحب خزان جبل الأولياء(٢) ،

---

(١) ١٩٣٣/٣/١١ ، عدد ٢٣٣٠

(٢) لم تكن مصر فى ذلك الوقت فى حاجة إلى إنشاء خزان جبل الأولياء ، فقد هبطت أسعار المحصولات الزراعية هبوطا فاحشا . فاضطرت الحكومة إلى تحديد مساحة الأرض التى تزرع قطنا . وزادت مساحة الأرض التى تزرع قمحا ، وأصبح لدى مصر مليون أردب قمحا زيادة عن طاقتها الاستهلاكية ، وثلاثة ملايين قنطاراً بصلا . وعجز الفلاح عن دفع إيجار الأرض وعن دفع الضرائب . وتراكمت الديون على أصحاب الأرض وعلى المستأجرين . وكثرت حوادث الإفلاس بين التجار . فلم يكن مقبولا لدى الرأى العام أن تنفق الحكومة أكثر من ١٢مليون جنيه فى إنشاء الخزان ،ولكن صدقى باشا إرضاء للانجليز صمم على المضى فى هذا المشروع . قال فى إحدى خطبه (وأما الزعم بأن وجود خزان لنا فى السودان يمكن الانجليز من أعناقنا ومن حبس المياه لمضايقتنا عند كل خلاف فزعم باطل . أولا لأن الإنجليز إذا أرادوا مضايقتنا فعندهم وسائل عديدة ، وهم ليسوا

ولا يطمئن إليه ، ولا يرى على أقل تقدير العجلة فى إقامته وتشييده ، وتكلف ما سيتكلفه من النفقات فى تلك الإقامة وهذا التشييد ، وفى هذه الأيام التى تشتد فيها الحاجة ، لا أقول إلى الاقتصاد والتدبير ، بل إلى البخل والتقتير .

والناس يذكرون لانصراف وزير الأشغال عن هذا الخزان وتنكره له أسبابا فنية ، أفهم بعضها فى مشقة وعسر ، ولا أفهم من بعضها الآخر شيئا . والناس يزعمون أن وزير الأشغال يرى كما يرى غيره من الفنيين أن فى إقامة هذا الخزان خطرا غير قليل ، وعبثا لاحد له إذا لم تتخذ ضروب من الاحتياط فى مصر ، فتقوى قناطر وجسور ، وتعمق ترع وتوسع أقنية ، إلى غير هذا الكلام الذى هو أشبه بالعبرية أو السريانية أو لغات الواق الواق ، ولكنه يرضى خصوم الخزان ويدفعهم إلى المضى فى المطالبة بالعدول عن الخزان ، أو اصطناع الريث والأناة فى إقامته . على أن وزير الأشغال تفضل فأراح أنصار الخزان وخصومه من الجدال والنضال حول رأيه فى إقامة الخزان اليوم أو غدا ، وبعد أعوام ، أو العدول عنه جملة .

=فى حاجة إلى وسيلة جديدة . وثانيا لأن ضمير العالم لا يسمح قط لأية أمة أن تحبس المياه عن أمة أخرى فتسبب لها الجدب والشقاء والفناء . وثالثاً لأن فى مصر من المصالح الأجنبية المتشابكة وفى مقدمتها مصالح الإنجليز أنفسهم ما لا يمكن لانجلترا أن تفكر فى تعريضه للضياع والبوار . إنهم يزعمون أننا مضطرون إلى إقرار هذا المشروع لأن الانجليز يريدونه ، وإننا ندفع هذا الثمن لهم لبقائنا فى الحكم ، على أنى لا أفشى سرا إذا أعلنت أننا نحن الذين قمنا من ناحيتنا بمهمة إقناع حكومة السودان والحكومة الإنجليزية بقبول مشروعنا . إن مشروعا يساعدنا على استصلاح ٣٠٠ ألف فدان فى الوجه البحرى ، ٢٥٠ ألف فدان فى الصعيد لمشروع جليل النفع حقا . وهم يعلمون — يعنى المعارضين — أن الكثير من مديريات القطر المصرى قد اكتظ سكانها ، حتى صار كل ثلاثة أو أربعة أنفس يقومون باستغلال فدان واحد ، بينما نجد أن لكل نفس فى الولايات المتحدة خمسين فدانا) .

انظر جريدة الشعب فى ١٩٣٢/١/١٧ .

أراح الوزير خصوم الخزان ، لأنه كذب تكذيبا صريحا كل ما ذاع وشاع ، وملأ الأسماع من تردد الحكومة : ومن رأيه هو فى خزان جبل الأولياء ، أيقام أم ينام ؟

فلن يتناقش الناس منذ اليوم فى موقف وزير الأشغال من الخزان ، ولن يحتج به الخصوم والأنصار ، ولن يتكلف الأنصار الحيل والأعذار للوزير الذى يعمل فى وزارة لا يتفق معها فى الرأى ، وفى أشد المسائل اتصالا به ، بل فى مسألة يجب أن يكون أمرها إليه قبل كل إنسان .

فرغ الناس من هذا كله بهذا البلاغ اللبق الظريف المرن الذى أصدره وزير الأشغال ، وإن كان الذين يريدون أن يفهموا — ليفهموا ليس غير ، لا ليخاصموا ، ولا ليؤيدوا ، لم يتبينوا فى جلاء رأى الوزير فيما بينه وبين نفسه ، وفيما بينه وبين فنه ، وفيما بينه وبين تقديره لحاجة مصر وطاقتها ومنفعتها .

لم يفهم هؤلاء الناس رأى الوزير : أهو من أنصار الخزان أم من خصومه ؟ وإنما فهموا (وهذا يكفى) من الجهة العملية أن الوزير لا يعارض ولا يمانع فى إقامة الخزان ، وإنه لم يحل ولن يحول دون الحكومة وما تريد من ذلك . وهذا معقول ، فقد اتخذت الحكومة قرارها ، ووزير الأشغال بعيد عن الحكم ، فهو إذن لا يحتمل تبعة هذا القرار . وقد لا يكون من الظرف ولا من حسن المجاملة أن يأتى فيعطل شيئا أو يحاول تعطيل شىء مضت فيه الوزارة قبل أن يشترك فيها .

هذا إذن شىء مفروغ منه ، أظهر وزير الأشغال موقفه من حيث إنه وزير ، واحتفظ برأيه الخاص لما بينه وبين الله ، ولعله ذكر وهو يصدر هذا البلاغ قول الشاعر القديم :

وهل أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد؟

ولكن الناس لم يكونوا يتحدثون عن وزير الأشغال وحده ، ولا عن مجلس الوزراء وحده ، وإنما كانوا يتحدثون عن المستشار المالى الإنجليزى أيضاً .

كانوا وما زالوا يقولون ويؤكدون ويلحون فى القول والتأكيد إن المستشار المالى يرى أن طاقتنا المالية لا تسمح بإقامة هذا الخزان الآن .

والمستشار المالى كوزير الأشغال له بالطبع موقفان قد يتفقان فيصبحان موقفا واحداً . وقد يختلفان فيشتد بينهما الاختلاف ، أحدهما موقفه فيما بينه وبين نفسه ، والآخر موقفه فيما بينه وبين الحكومة التى يعمل فيها ويشير عليها . وقد يكون المستشار المالى ميالا جداً إلى إقامة الخزان لأنه إنجليزى لا يستطيع أن يهمل منافع الإنجليز ، ولا أن يمحو العاطفة الإنجليزية من نفسه . والناس يقولون إن للإنجليز فى إقامة هذا الخزان منفعة واضحة لا تحتمل الشك ، ولكن المستشار المالى رجل يقدر فيما يظهر موقفه الفنى وما يقتضيه هذا الموقف من النصح والأمانة ، وهو يعلم أن المستشار مأمون ، فيظهر أنه لم يتردد رغم إنجليزيته فى أن يشير على مصر بالتأنى فى إقامة هذا الخزان ، لأن طاقتها المالية لا تسمح بمثل هذه المغامرة الآن .

يعجبنى جداً هذا النحو من الشجاعة الذى يتيح للرجل أن يحب الشىء ويتمناه ، ويحرص عليه ولا يتردد مع هذا ، بل رغم هذا فى أن ينصح بالعدول عنه ، لأن الأمانة الفنية تأمره بذلك ، فهو يؤثر أمانته الفنية على إرضاء ميوله الخاصة وعواطفه القومية . والناس يؤكدون ويلحون فى التأكيد أن المستشار المالى قد وقف من خزان جبل الأولياء موقفا أقل ما يوصف به أن فيه نصحا للحكومة المصرية بالتريث والأناة .

وليس يعنينى أن يكون المستشار المالى قد قدم هذه النصيحة وهو يتمنى أن تقبل لتتحقق منفعة مصر ، أو ترفض لتتحقق منفعة الإنجليز ، وإنما الذى يعنينى أنه قدم هذه النصيحة بالفعل ، وأنه أظهر للحكومة المصرية منذ قدم نصيحته هذه واجبها واضحا جليا .

وقد يكون من الحق على الحكومة لنفسها أولا ، ولمصر ثانيا وللانجليز ثالثا أن تصدر بلاغا تريح الناس فيه من الكلام حول موقف المستشار المالى فى هذه المسألة ، كما أراحتهم من الكلام حول موقف وزير الأشغال.

فهل نصح المستشار المالى بالتأنى فى إقامة الخزان ، فإن كان الجواب: نعم ، فيجب أن يعلمه الناس ، ويجب أن تبين الحكومة حججها أو معاذيرها فى الإعراض عن هذه النصيحة . وإن كان الجواب : لا ، فيجب أن يعلمها الناس حتى لا يوصف المستشار المالى بغير ما فيه ، وحتى لا تتهم الحكومة بأنها تعرض عن نصيحة قد يكون فيها الخير ، وبأنها تميل إلى إرضاء الإنجليز أكثر مما يميل الإنجليز إلى ارضاء أنفسهم .

لقد أزعج الحزبان المؤتلفان رئيس الوزراء على حاجته الشديدة إلى الراحة والهدوء ، حين ثارت الخصومة فى مجلس النواب بين الاتحاديين والشعبيين حول إعانة الأوبرا ، ونستطيع أن نؤكد للحكومة أن موقف المستشار المالى من خزان جبل الأولياء له خطره ، وهو خليق بأن يتحدث فيه إلى رئيس الوزراء — على شدة حاجته إلى الراحة والهدوء — وهو خليق أن يسأل رئيس الوزراء عن الطريقة المثلى المعقولة التى ينبغى أن تسلك لتجليته وتوضيحه أمام الرأى العام .

لقدكان وزير الأشغال لبقا ظريفا فى بيان موقفه هو ، ولكن بيان موقف المستشار المالى يحتاج فيما يظهر إلى لباقة رئيس الوزراء نفسه . فلعنا نقرأ اليوم أو غدا بلاغا يكشف للناس عن وجه الحق فى هذه المسألة : أقال فيها المستشار شيئا أم لم يقل ؟ فإن تكن الأولى فماذا قال ؟